من لندن :

معركة العروبة فى فلسطين

أهدافها ووسائلها

للأستاذ إبراهيم زكى أباظه

قد لا يصل هذا العدد من الرسالة إلى أيدى القراء إلا بعد انتهاء الانتداب البريطانى المشئوم على فلسطين ، ودخول الجيوش العربية إليها وسحق الأخطبوط الصهيونى الذى يبث الويل والدمار حيثما سار وحل ... وفى حمأة هذه الحوادث وهذا الاختلاط فى الوضع ، تطيش رؤوس وتضيع حقائق هى أجدر ألا تغيب عن أنظار الباحث الحكيم والمخطط البعيد النظر ... إذ بينما يسير انتباه العالم بكامله الآن نحو الطرفين الرئيسيين فى القضية وهما العرب واليهود ليرى نتيجة صراعهما ، نجد من النادر وجود امرئ يحدد مسئولية بريطانيا ويفيها حقها من اللوم على ما يجرى فى البلاد المقدسة من سفك دماء وتدمير ...

إن كل عليم بتطورات القضية الفلسطينية ليدرك تمام الإدراك أن بريطانيا هى الجانية الأولى والأخيرة فى كل ما وقع وسيقع ؛ وإنه لما يؤلم ضمير كل محب للعدالة ، أن يجد فى بريطانيا اليوم ممثلة لأعظم مهزلة ، بل وإنه ليجد فى سلوكها وتصرفاتها الحاضرة كل ما هو تدنيس للحقيقة وتدليس لحرمة التاريخ وقداسته ذلك أنها بعد أن خلقت المشاكل بعناصرتها للوطن القومى اليهودى وباستخدامها الحراب لحمايته ووضع أسسه ، تجدها الآن وقد وقفت تندب حظها فى أن العرب واليهود يصبون عليها اللوم والعقاب بلا مبرر على حسد رأيها ، بل وإنك لتراها تتباكى بسبب ما نزل بأبنائها من قتل وشنق وهى فى ذلك كله تتخذ موقف البرىء المجنى عليه ، والنبيل العادل الذى افتُرِى عليه ... ولسان حالها يقول كالشيطان الذى قال بعد أن حبب الكفر إلى قلوب العباد . إنى برىء مما تشركون .. إن العالم والتاريخ والعدالة لتخط اليوم لبريطانيا صفحة مذلة وعار وخزى بتمثيل هذا الدور الشائن والذى لم يقتصر على الادعاء بالبراءة بل تعداه إلى ترك بلاد مقدسة طوال الثلاثين عاما الماضية تحت رحمة صهيونية آثمة ، تتسلح علنا ولامن محتج ، وتستعد للحرب والفتك بالأبرياء وليس من إدارة تحاسبها على ذلك فى كثير أو قليل ، وتعمد إلى إرهاب ينمو ويتسع وينتظم تحت سمعها وبصرها وليس من تحذير أو ردع ، حتى بات العرب العزل يجابهون مجزرة بربرية فى دير ياسين وغيرها لا تقل إجراما وتعطشا للدماء عن مذبحة سانت بارثلميو أو مذابح سبتمبر ... ومع ذلك لم تقدم انجلترا على عمل تتخذه لحماية الأرواح ... هذه حقائق ما كان أجدر بنا أن نعلمها حق العلم ونحن نخوض هذه المعركة الحاسمة ضد عدو غادر أثيم كالصهيونية ... بل وعند انسحاب البريطانيين انسحاب الجانى المتلبس بجريمته .

الصهيونية والشيوعية :

ليست علاقات الصهيونية بالشيوعية بالشىء الحديث ، وليست بخافية على كل من له إلمام بسير التاريخ الحاضر ، بل وليست من سوء الحظ بالشىء البسيط الوحيد الذى غفل عنه قادتنا ورجالاتنا ... إذ من ينسى أن منشىء الشيوعية الأول هو ماركس اليهودى ؟ وهل من الجائز أن تنسى البلشفية الحاضرة دينها له ؟ هل تنسى اليهودية صلة النسب بهذا الرجل ومذهبه ؟ وهل من الجائز أن ينسى ستالين وأعوانه ذلك وينسوا واجبهم فى معاهدة التوسع الصهيونى ؟ ثم من ينسى أن نظام الاستقرار والاستعمار الزراعى فى فلسطين هو تطبيق نموذجى للأصول الشيوعية كما هى فى روسيا قلبا وقالبا ؟ ومن ينسى أن من بين المهاجرين اليهود الأولين لفلسطين ، جماعات روسية ركزت نفسها فى الزوايا والنقاط الحيوية فى فلسطين حيث جعلت منها مراكز لخزن السلاح وتدريس أصول الإرهاب وبث التعاليم الفوضية ؟ وعلى من يجهل ذلك أن يذهب إلى مستعمرات شمال شرق فلسطين ومرج ابن عامر ليجد ألوف النشرات المعنونة بـ « مبادىء القومية » و « وبدعة الديانة » التى جلبها معهم يهود شرق أوربا ؟ وليجد هذه كلها مع الكميات الهائلة من الذخيرة والأسلحة ... هذا منذ عام ١٩٢٠ وكما يعترف به اليهود

الروس آنئذ ... ثم من يجهل أن يهود البلقان — تلك البلاد التي هي الموطن التقليدي للإرهاب المحترف في العصر الحاضر — يقيمون الآن في فلسطين في عدد هائل وكلهم متدرب فائق الخبرة بالفنون العسكرية التي اكتسبها أثناء الحرب الحاضرة في حركات المقاومة ، وجميعهم يرحب بروسيا كحامية للبلقان ، ويرحب بأن يكون لها العون والنصير لإيجاد قاعدة بل وقواعد نشاط في الشرق الأوسط بادئين بفلسطين ؟ إن الشرق الأوسط كله الآن يموج بهذه القوى الخفية والوكلاء السريين ، كما تموج بهم موانىء دول البلقان ، وكلهم متلهف للعمل ، تواق للفتك والمغامرة من أجل فلسطين والصهيونية ، وروسيا راعيتها الأولى ... فعلينا أن نذكر هذا ونفكر في عواقبه ! !

مجموعة من الأخطار :

إن كل عليم بأصول الحضارة والتاريخ والعقلية اليهودية لا بد أن يفطن إلى فكرة على جانب من الأهمية وهي « أن الروح التجارية صفة بارزة في الشخصية اليهودية أينما حلت ومهما بلغت من علم وثقافة ، وهي المعيار الوحيد في نشاطهم الدنيوي والأخروي سواء أكان ذلك في شراء بيضة ، أو إنجاز صفقة ، أو أداء صلاة ، أو الحصول على فلسطين » ولا يصد اليهودي عن نيل ما يبتغيه إلا أن يرى أن إهدار دمائه هو الثمن لما يرجو الحصول عليه ؛ وعندئذ يرجع خاسئاً مدحوراً ، ولكن ليعاود ذلك بوقاحة وتكرار ، وبكل ما أوتيه من غدر واحتيال ؛ لا يردعه عن ذلك رادع إنساني أو مثل أعلى ... وكم يجدر بقادتنا أن يفهموا هذه الميزة البارزة في عقلية الصهاينة ونشاطهم في هذا الكون ...

بالأمس طالبوا بوطن روحي في فلسطين ، ثم ببضعة أفدنة يزرعونها ، ثم ببيوت ومدن يبنونها ، ثم بالحصون والقلاع يرفعون سمتها ، ثم بالدولة يضعون أسسها .. ثم ماذا ؟ مطالب أثر مطالب . إذا ما أفلحوا فيها — لا سمح الله — فسيطالبون باللقمة في فم العربي يسلبونها ومعها يسلبون دعامة الحياة والبقاء .

بالأمس عُلق البريطانيون على أعواد المشانق وبالأمس اغتيل قادتهم في القاهرة وروما وبريطانيا نفسها ، بقنابل بريدية ، ونسف البنايات ودك المعاقل ... إلى آخر ما هنالك من وسائل لن تقف عند حد في وحشيتها كل ذلك لأن الصهيونية تخيلت أن هذا البريطاني أو ذلك كفر بمطالب الصهيونية ، أو لأنه احتج على أمر نبا عنه ذوقه ، أو لأنه أعرب عن رأي لم يوافق إنجيل الصهيونية ومطامعها الخطيرة ، فكان جزاؤه سفك الدم ! ثم نما الخنجر الصهيوني فإذا به ذو حدين مرهفين ، أخذ ثانيهما يفتك بالعدو الأصيل — العرب ، فمن قرى تدمر ، وأطفال ونساء حوامل تبقر بطونها ، وتنهش لحومها ، وذلك على مرأى من العالم المتمدين وعلى مرأى من الجيوش العربية ... ! ! فأمام هذا البلاء وأمام هذا الكابوس الذي فرضه الإرهاب الصهيوني على أعدائه السياسيين وعلى الرأي العام العالمي ، من يجرؤ على القول أن المصير المشئوم الذي ناله الكثيرون ، بعيد عن أن ينال ملوكنا في قصورهم ، وقادتنا في بيوتهم ، وأطفالنا في أحضان أمهاتهم ، ومساجدنا وكنائسنا ، وقبورنا وآثارنا ، ومقدساتنا وحرماتنا ! ! ومن يضمن أن يترفع هذا الإرهاب الأثيم والغدر البربري عن تدمير كل ما شدناه من آثار وتاريخ وأمجاد وحضارة ؟ إن سلامة الشرق الأوسط بأسره في كفة الميزان ؛ فعلى الملوك والعواهل والوزراء أن يحزموا أمرهم ويجمعوا رأيهم لتقليم هذا الأخطبوط الصهيوني الخطر ... ! وإلا فليس من البعيد أن يقال في عهد الملك الفلاني ، ضاعت فلسطين ثم بتفريطه في الدفاع عنها ، حلت ببلاده هو النوائب والبلايا ... وفي عهد القائد الفلاني فقدت فلسطين ومنها سارت جيوش الأعداء واحتلت بلاده .

هذه أفكار ليس للتشاؤم دخل فيها ، ولكن علينا أن نتأهب للأمر وألا نلدغ من جحر مرتين ... لقد قللنا من خطر الصهيونية وخفي علينا ما في البلاد من أوكار ومكامن ، ومن قوى وأخطار وجيوش انقلبت بين عشية وضحاها إلى قوى نظامية قادرة على صب الويلات ، وإهراق الدماء بدون مقاومة تذكر :

منذ عشرين قرنا من الاضطهاد المزعوم الذي جلبه اليهود على أنفسهم ، غليت قلوبهم بالحقد والضغينة على الإنسانية جمعاء ،

٣٠٤٣

أخذ يتطور الآن بعد تكتلهم في فلسطين إلى حملة من الانتقام تهدف لتصفية الحساب مع كل فرد أو مجموعة سبق في زعمهم أن ساهموا في تعذيب اليهود واضطهادهم ، وهـذه ملفات الوكالة اليهودية حافلة بخطط الانتقام ، ولم ينس الصهاينة حوادث العراق عام ١٩٤١ ، ولا حوادث الشعوب التي اعتـدت أفرادها على أقلياتهم في بلادها ، ومن بين هـذه الشعوب الشعب البريطاني والشعب الألماني ، ولـكن في المقدمة سيأتي طبعاً كل ما يزعمونه ويختلقونه من اضطهاد حل بهم في البلاد العربية المجاورة ، كما أن كل كلمة فاه بها أمير أو زعيم كلها مرقومة في سجلاتهم ، وهم متعطشون لتسديد الحساب بلا رفق ولا هوادة ، وكلما استقر بهم المقام في فلسطين وتمكن لهم الحال فيها تعاظمت الأخطار وهذبت الخطط لانتقام مروع دام يصبونه على العروبة ودولها .

أبرزت الحوادث العديدة في السنين العشر الماضية الصلة الوثيقة بين صهيوني فلسطين ويهود الأقطار العربية ، والنشاط السري الواسع ، والوكالات والمنظمات التي يديرها هؤلاء الآخرون حتى ثبت الآن أن أفراد العصابات الإرهابية التي تفتك بالآمنين في فلسطين يتألف أغلبها من يهود عرب جُلبوا ودربوا تحت إشراف الخبراء اليهود الأوربيين ، وبسبب معرفتهم العربيـة وملامحهم العربية سهل عليهم تنفيذ تلك المهمات الإجرامية التي عهـدت إليهم . ولا يسعنا أن نغفل هنا ذكر سارة أرنسون وأفراد أسرتها التي اختصت بالتجسس في الشرق وبين القبائل في الصحراء السورية في الحرب العالمية الأولى . وأن لهذه الأسرة وكلاء لا يزالون يقومون بنفس المهمة ، كما أن الخدمة السرية للوكالة اليهودية لهـا قلم خاص للاستخبارات في الشرق الأوسط العربي ، وهو نشـيط وله أساليب هدامة مُريعة في تنفيذ خططه . وقد أثبت يهود اليمن وعدن ويهود حلب بصورة خاصة مهارة تذكر في هذا السبيل ... إن يهود البلاد العربية جيوب غدر وأعوان هجوم ، خطرها بالغ وسمها نقيع إذا ما اقترن غدرها بالتوجيه المصري والتنظيم الأخصائي تحت إرشـاد الأخطبوط الصهيوني في فلسطين .

أما توزع اليهود في العالم فله ميزة بالغة استغلها اليهود كل الاستغلال وعصروا كل خبرات الأمم التي عاشوا بينها وجلبوها إلى فلسطين لا الاستقرار فحسب ، بل للامتـداد والتوسع . وإذا ما علمنا نتاج اليهود الاقتصادي وقوتهم المـالية أدركنا الاحتمالات الأكيدة النـاجمة عن ذلك فيما لو سمح لهم بالتركز في الأرض المقدسة ، وليس إنشاء أسطول ضخم ، وجيش عصري ومصرف دولي ، وإذاعة قوية ، وجامعات ومعـاهد ، وحصون وقلاع ، وقواعد غزو ، إلا نماذج من هذا التوسع المتيد الأكيد .

إن هـذه مجموعة من الأخطار نقدمها هدية — قبل فوات الأوان — إلى أولئك الذين يتقلدون المنـاصب ويتحكمون في توجيه الرأي العام العربي ، ويوجهون سياسته ويناصرون العروبة ويشدون أزرها ، لا يدافع التشاؤم والوجل بل كصرخة يرسلها عالم متألم ، يؤمن بأن الاعتراف بالحقيقة مهما كانت مُرة قاسية هي أولى الخطوات لتسديد الخطر ، وحزم الأمر وخوض المعركة بصبر وبلاء يجدر بالصادقين الذين عاهدوا الله على النصر أو الفناء ، دفاعاً عن العروبة وأمجادها وتراثها الغالي التليد .

صبرات ورمول الجيوسه العربية :

مضى على انفجار الغـدر الصهيوني أكثر من شهرين ، أريقت خلالها دماء ، وأزهقت أرواح ، واحتلت مدن ، واقترفت جرائم هزت وغى الإنسـانية ، وروعت أحاسيس البشرية ، وستبقى مذبحة دير ياسين الشاهد الدامي على جريمـة فاقت بربرية النازيين ، بل غطت على فظاعة القتل بالغاز والحنق وجرائم القرون الوسطى ، وكل ذلك من جماعات متشردة أعدت ودربت للفتك وفرض دولة يهودية في الشرق ، وليس لأحـد منهم صـلة أو حق بهذه الأرض العربية الصميمة . ومما لا شـك فيه أن يهود العالم يعولون الاعتـداء والجرائم الصهيونية في فلسطين ، كما أن حركة التجنيد اليهودية على قدم وساق في كافة الأقطار وتحت أسماء مختلفـة أغلبها تحت اسم « حركة الشـباب العبري » ، ولهم معسكرات في كل مكان تعد الجند وتجمع القوى ، كما صدرت نماذج التحاق بالجيش لـكافة الشـباب اليهودي العالمي للخدمة في ميادين فلسطين في الحال

عند ما يطلب إليهم ذلك ، كما أخذ الكثير من هؤلاء يتسرب إلى فلسطين بكافة الطرق ومعهم تدريبهم العسكري الفائق ، هذا وإن الأخصائيين الروسيين يقودون الآن الفرق اليهودية المرابطة في عشرات الموانىء في البلقان ، وكلها عازمة على غزو عام مسلح للأراضي المقدسة .

وعلى العموم فكفة السلم في الشرق الأوسط الآن هي فريسة لتيارات عنيفة عسكرية وسياسية واقتصادية . وإذا ما علمنا أن دول الشرق فتية الاستقلال حديثة العهد ، وجدنا لأنفسنا كل مبرر يمليه الحق والعدل والأمن والسلام ، وكلها تفرض واجباً سريعاً حاسماً لدخول الجيوش العربية واجتثاث الصهيونية حتى لا تعود إلى شرورها وأخطارها الفادحة .

خطط وأهداف :

القضاء على الصهيونية كقوة عسكرية ، وخنق انتشارها كعقيدة سياسية ، وإدماج فلسطين كدولة عربية ، كجزء في جامعتنا ، وإيجاد إدارة مدنية شاملة لكافة الرعايا — هذه هي بالايجاز ما يجب أن تهدف له الجيوش العربية عند دخولها إلى فلسطين ...

تقوم في تل أبيب الآن معاقل إرهاب ومستودعات أسلحة ومصانع تجعل من المدينة خطراً يهدد سلامة الشرق ، وإذا رأى الإنجليز في تدمير برلين العمل الوحيد لصون السلم العالمي والقضاء على رأس الثعبان النازي ، فدمار تل أبيب ونزعها من كتوة لدولة يهودية ، من مخيلة اليهود ، عمل ضروري لا مفر منه إذا أردنا أن نكون عمليين في أعمالنا وخططنا لحفظ السلم في الشرق . فهذا الوكر الذي يحتله ربع مليون إرهابي عنيد يجب أن يلاقي نفس المصير الذي لقيته برلين وناريخوف وهامبرج ، ووجودها على قيد الحياة بكل ما يكمن فيها من أخطار سيكون برهانا — يوماً ما — على عقم تفكيرنا ، وقصر نظرنا .

إن الصهيونية كالنازية في أهدافها ووسائلها هي مذهب خالط الدم واللحم واخترقه إلى العظم في جسم كل يهودي ، لذا أصبح من الواجب على القيادة العربية ، إعداد منهج يحفظ لليهود حياتهم كأفراد خالين من شوائب الصهيونية ، كبدأ هدم وسيطرة ، والاستعاضة عنها بثقافة سلمية أخوية تمكن لليهودي العيش بهدوء وأمن مع الجمهرة العربية في فلسطين . . . إن محق الصهيونية كبدأ خفي هو إنقاذ لمستقبل الشرق . وكخطوة جوهرية في هذا ، يجب على القيادة ألا تغفل عن فرض رقابة شريعة في الدقيقة التي تدخل جيوشها الأراضي المقدسة على الشواطىء وإيقاف الغزو الذي ستقوم به ألوف صهيونة عدة تنتظر الأوامر بالنزول إلى البر .. إن كل صهيوني يقدم حديثاً إلى فلسطين ، هو خبير عسكري منتدب لمهمة خاصة في الدولة الصهيونية المزعوم إنشاؤها . .

إن دخول الجيوش العربية حادث بالغ الأهمية في تاريخ العروبة ؛ فهو أول عمل مشترك تقوم به الجامعة لحفظ حياتها ، وسيشخص العالم بأبصاره ليرى كفاءتها وحنكتها في مراحل حياتها الأولى ، وسيقبل حكمها وحلها القضية فلسطين ، حتى ولو فرض بالقوة كما يتطلب الموقف الآن ، وسيكون حقيقة واقعة إذا ما اقترن ذلك بإيجاد إدارة مدنية ذات كفاءة وحنكة حتى ولو كانت عربية صميمة . إن الحنكة والشجاعة من القائد البارع تخضع لها رقاب الأعداء ولو كان ظالماً . هذا درس تعلمته البشرية خلال تجارب عديدة رغم عدم اعترافها به . وإن كل هوادة ، أو تراخ في هذه المرحلة الحاسمة معناها الانهزام أمام الإرهاب وانتحار الجامعة العربية ، وتحطيم الأهداف والمبادىء والمطامح التي علقتها عليها ملايين الشباب في أطراف العالم العربي

هذا يوم تشخص فيه عيون الأيتام والأطفال والنساء ، والمروعين حتى الطاعنين إلى القتال ، ولكن يعوزهم السلاح والدراية ، بل وعيون العالم أجمع ، لترى جيوش العروبة تخوض معركة التحرير لإنقاذ فلسطين وإراحة العالم من قلق وخوف عجزت بريطانيا وهيئة الأمم المتحدة بسبب مطامحها وأنانيتها عن إيجاد الحل العادل لها .

إن هذا يوم له في تاريخ العروبة ما بعده ، فاجعلوه مشهوداً أغر — وللعروبة نصر محتوم وظفر محقق .

(لندن) ١١/٥/١٩٤٨ ابراهيم زكي أباظه
المحامي